

ممثل مصاب بجنون العظمة يتقن استمالة الشباب

محمود حميدة

فنان مصري يستهويه العصيان

أحمد حافظ
كاتب مصري



هو حالة خاصة في السينما المصرية والعربية، ليس فقط بسبب مشواره الفني الذي تجاوز 30 عاما، بل لكونه شخصية متمردة كسرت تابوهات عديدة، سواء في ما يرتبط بالأعمال التي تُعرض عليه، أو بالصدام مع المجتمع، أو حتى الوسط الفني الذي يُفترض أنه أحد أبنائه، ولذلك كثيرا ما يوصف بالفوضوي والعشوائي.

إنه الفنان المصري محمود حميدة، الذي بدأ دوره الأخير في مسلسل "لما كنا صغيرين" الذي عرض أخيرا كرجل أعمال وتاجر مخدرات وأستاذ جامعي يحتوي الشباب، متسقا مع تركيبته الشخصية التي تحمل في جوهرها مجموعة من التناقضات، وكان شخصية "سليم" السلطوي هو حميدة في الحقيقة، مع الفارق في التشبيهات والمهام.

مثل خاص وجمهور خاص

خلق لنفسه مكانة بطبيعته الحادة، حتى أصبح له جمهوره الخاص الذي يستمتع ببراءة وتفكيره ومواقف هذا المتمرد، ويصعب أن يخرج في لقاء إعلامي دون جدل، إذ يعتمد النش في قضايا شائكة وموضوعات مثيرة بعيدة عن طبيعة عمله كفنان.

لا يمكن أن تمر دون أن تترك صدق اجتماعيا لإصراره على خوض تجارب فنية تلامس الشارع وهوموم، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. ومع أنه وقف أمام مخرجين وفنانين كبار أخفقوا في ترويضه ووقف عداؤه وتمسكه بأن يحصل لقب الفنان الذي يستهويه العصيان.

يكفي التدقيق في شخصية حميدة لاكتشاف أنه رهاب في معبد محاط بالخطوط الحمراء. كثيرا ما تتسرع بانه يفضل الاطواء من شدة رفضه لكم التصرفات التي تحدث والإقوال التي تصدر والمقاهيم التي تتعق، وهو غير راض عنها، سواء منها ما يرتبط بمهنة الفن أو ما يتعلق بالطقوس العامة.

بلغت درجة الرهينة أنه يدرك أن الله خلقه ليعده بالتمثيل، لذلك يرى أن الفن في حد ذاته مهنة مقدسة، وهو غير مقتنع بأنه رسالة، ومن شدة دفاعه لجأ إلى إصدار مجلة تحمل اسم "الفن السابع" لتكون منبرا إعلاميا يتحدث باسم هذه الصناعة، لا أن تنتظر من الصحف والفضائيات أن تتناولها بالخبر أو بالشهر.

يُعرف بانه الممثل الذي يمثل له لسانه أكبر أزمات حياته من شدة جرأته وكراهيته لنفاق الجمهور، فهو لا يجيد لغة التمتع أو الادعاء، بل يعترف من أول وهلة بأمور تبدو صادمة للراي العام، لكنه يبادر بالقول "من لا يحترم صراحتي لا يستحق احترامي".

لا يخشى حميدة تعرضه لهجوم شرس، أو تتأثر حياته الفنية بتصريح صحافي أو لقاء تلفزيوني صادم، طالما أنه مقتنع برأيه، ولو كان مغايرا لتوجهات وأفكار قطاع كبير من الجمهور، بحكم العادات والتقاليد والموروثات القديمة، إذ يعتبر أن كل ذلك لا يعنيه، وما يشغله فقط أن يكون صادقا مع نفسه. وما زال رأيه في المشاهد الجريئة تهمة تطارده طوال الوقت، بعد أن تحدث بلغة المحامي الذي يدافع عن حتمية إدراجها في الأعمال



الشباب المصري يلقيه بـ"الإمبراطور"، بحكم ارتباط هذه الكلمة بأول أعماله السينمائية. أما مشكلته في الوقت الراهن، فتكمن في أن مزاجه أصبح يتحكم في غيابه أو حضوره الفني.



أدوار حميدة التي يؤديها أمام الكاميرات، لا يمكن أن تمر دون أن تترك صدق اجتماعيا واسعاً، لإصراره على خوض تجارب فنية تلامس الشارع وهوموم.

على أنه ممثل قادر على تجسيد أي شخصية مهما كانت معقدة، وأصبح اللقب يرتبط بأول أعماله السينمائية، سينماتيا وعملا دراميا، مع مخرجين كبار.

يعد حميدة، أو الإمبراطور، كما يصفه الكثير من الشباب، بحكم أن هذا اللقب يرتبط بأول أعماله السينمائية، من الفنانين القلائل الذين لا يمانعون توجيه النقد القاسي للجيل القديم من الفنانين، لأنهم احتكروا المشهد ولم يتركوا الفرصة لجيل جديد بقود المهمة. وهو يصير على دعم المواهب الفنية ولو كان ذلك من ماله الخاص. ففي العام 1996 أنشأ شركة إنتاج أطلق عليها اسم "البطريق"، واستعان بأفضل المتخصصين في مختلف المجالات لجعلها مركز تدريب وصقل المواهب الشابية.

موهبة حميدة تضعه ضمن قائمة كبار النجوم، فقد برهن على أنه ممثل قادر على تجسيد أي شخصية مهما كانت معقدة، وأصبح في أرسيفه الفني ما يزيد عن 60 فيلما سينمائيا وعملا دراميا

لم يكن يرفض أي دور يُعرض عليه تيمنا بنصيحة عادل إمام الذي طالبه بالمواقفة على كل الأعمال ولو كانت هامشية، لحين الوصول إلى مرحلة القبول أو الرخص، وكان يشارك في ثلاثة أو أربعة أفلام في العام الواحد، لكن فلسفته تغيرت تدريجيا، حتى أنه أصبح يقبل العمل الذي يفتن به.

مشكلة حميدة في الوقت الراهن، أن مزاجه أصبح يتحكم في غيابه أو حضوره الفني، حيث أخفق في فصل تركيبته الشخصية عن العمل. فمثلا، لو عُرض عليه دور مثالي في فيلم فكرته استثنائية وكان مزاجه سيئا لا يقبله مهما بلغ المقابل المادي، حتى أصبح التمرد يطارده في أدق تفاصيل حياته، لدرجة أنه يصف نفسه بـ"السخي".

وضع نظرية "الدفع مقابل الظهور"، حيث ما زال يتباهى بأنه أول فنان حوار صحافي أو تلفزيوني، وبرر ذلك بأن "والده لم يعلمه مجانا حتى يظهر في الإعلام بدون مقابل"، ما جعله يتهم بالتجارة بشهرته ودعاه كثيرون إلى انتقاء كلامه لتجنب خسارة الناس، لكنه رد بالقول "خسارة الأشخاص لا تؤلمني وتتسق مع شخصيتي".

سوق الحيوانات والبقوليات بإحدى قرى محافظة بني سويف، والتحق بكلية التجارة ومنها انتسب إلى فرقة المسرح الجامعي.

كان يقوم ببعض الأدوار التمثيلية بين أرتة القرية التي يعيش فيها، وكلما نال إعجاب الحاضرين تشجع لدخول عالم الفن والوقوف أمام الكاميرات، وفي خضم هذه الظروف لم تكن تعجبه حياته وسط الزراعات، وبين مجتمع يعيش في العصور الوسطى، فكريا وثقافيا، وكل يوم تراوده أحلام الهروب إلى بيئة ينعم فيها بالتححر والنجومية.

لجأ إلى تعلم الرقص كمدخل لإعادة ضبط مسار حياته، وإثبات أنه قادر على العصيان والتمرد على كل ما يقف في طريقه ويتعلق بالعادات والتقاليد، ونجح في المهمة حتى تعرف عليه المخرج التلفزيوني أحمد خضر وقدمه في مسلسل "حارة الشرفاء" بعدما شاهده في أحد قصور الثقافة وهو يجسد أحد الأدوار المسرحية، ومن بعدها اختاره المخرج طارق العريان لأداء دور مهم في فيلم "الإمبراطور" أمام الراحل أحمد زكي.

التمثيل بالموم

ما سهل طريقه نحو النجومية أنه شخصية ذات ثقافة واسعة، حيث عُرف عنه حب القراءة وبالأخص الشعر والأدب، وهو صاحب نظرية

"التمثيل بالموم"، بمعنى أنه لا يستطيع تجسيد شخصية، إلا إذا كان ممثلا بالموم ليفرغها في الدور الذي يؤديه، لذلك تجده نادر الإبتسام في الأعمال الفنية، وإذا ابتسم تشعروا وكأنه يتصنع. فرض نفسه ووضع ضمن قائمة كبار النجوم، وبرهن

أثرت البيئة الاجتماعية التي عاش فيها حميدة فترة طفولته وشبابه، على أن يكون شخصية متمردة، فهو الذي دخل مجال التمثيل رغما عن عائلته التي كانت ترفض بشدة هذا المسار، وأرادت أن تتحكم في رغباته بذريعة أن الفن يخالف العادات والتقاليد العائلية، حتى قرر أن يمتح لنفسه الاستقلال الذاتي.

عاش حياة بسيطة بكل تفاصيلها وتعقيدات، وفي نفس الوقت كان ينتمي إلى عائلة أرستقراطية، وأثر التباين في شخصيته بالتنوع والإبداع، فقد كان فلاحا يشارك والده في الحقل، ومارس التجارة في

حميدة لا يترك مناسبة إلا ويؤكد أنه مصاب بجنون العظمة، ومنذ صغره كان يتعالى على والده، ما تسبب له في مشكلات وأزمات عائلية استغرقت سنوات من القطيعة.

بلغت درجة تمرد أنه أعلن مقاطعة "الثوابت والبدائت"، لأنها تكبل أي إنسان عن أن يكون حرا طليقا يمارس حياته بما يرضيه وحده، حتى لو كانت البيئة المحيطة به لا تسمح بماقوله أو تصرفاته، فلن يغلف شخصيته بأخرى تدعي الفضيلة وتعمل ألف حساب لغضب الناس، لأن هؤلاء ليس لهم علاقة بحياته.

وجدت فئة من الشباب تتمرد على المجتمع بطوقسه وأعرافه، في شخصية حميدة، القدوة للتححر من هيمنة الموروثات، وأن الناس وحدهم من يحددون نمط حياة الفرد، لذلك تجد أن أغلب الذين يدافعون عنه ويمجدون أقواله المتمردون. وهو تماهى بذكاء شديد مع الشباب، وأصبح يوجه خطابه إليهم ويلعب على وتر غضبهم من السجسج الاجتماعي، واكتسب جماهيرية استثنائية عند الجيل الصاعد، وبعض الذين يسايرونه في الفكر والثقافة والعصرية من باقي الفئات.

وعندما سئل عن إمكانية طلب ابنه أن يتزوج من راقصة، أجاب "بالطبع ساوافق، طالما أن هذه رغبته الشخصية، ولا يجب أن يتدخل الآباء في اختيارات الأبناء ولو كانت خاطئة"، ما أثار حفيظة البعض، واتهموه بأنه يشجع على تمرد الأبناء.

يرى حميدة في أبناء الجيل الثائر على العادات محطة مهمة للعودة إلى الوسط الفني بقوة بعد فترة طويلة من الغياب، فاستطاع أن يكسب وهم ورضاهم من خلال التحدث بلسانهم، أو حتى الدفاع عن حقوقهم المسلوقة، والثناء على قدراتهم في أن يحددوا لأنفسهم نمط الحياة المثالي الذي يفرض كبار السن أنفسهم عليه بالأمم الواقع.

الفنان والتأثر السياسي

يصعب أن تجد في قاموس حميدة ثناء على الأنظمة السياسية السابقة، لأنها وفق رأيه تعمدت صناعة العداء مع الشباب، واستعانت بأهل الثقة على حساب أهل الخبرة. وقد يعتقد البعض أن هذا الكلام يستهدف نفاق الفئات الشبابية لتحقيق المزيد من الجماهيرية، لكن في الحقيقة حميدة شخص نادر سياسيا ضد أي كيان أو سلطة تحترق المشهد، وتنظ أنها الأفضل.

كان من أوائل الفنانين الذين دعموا ثورة 25 يناير 2011 لإسقاط نظام حسني مبارك، رغم أنه

السينمائية، طالما أن هذه الأفعال موجودة في الواقع، وزاد على ذلك بتأكيد أنه لا يُمانع تجسيد دور فنان مثلي، طالما أن هؤلاء موجودون في المجتمع ويجب تسليط الضوء عليهم فنيا.

عندما سئل عن رد فعله تجاه صديق إذا علم أنه مثلي، رد بالقول "لا يمكن أن أنهي علاقتي بشخص مجرد أنه شاذ، فهذه حياته لا يجب أن يتدخل أحد فيها"، وهو التصريح الذي تعرض بسببه لهجوم شرس، بذريعة أنه يشجع على المثلية.

يثنى البعض على شجاعة حميدة في الإدلاء براء مرفوضة من شريحة كبيرة في المجتمع، لكن آخرين يقولون إن الفنان يجب أن يكون حكيمًا في تصريحاته، لكن حميدة نفسه، يرد بحتمية التححر من فكرة القدوة، مهما بلغت مثالية الشخصية، لأن الجمهور انكس من أن تعامله كطفل، وتحدد له الصواب من الخطأ.

جنون العظمة

يصعب أن يخرج الفنان على الراي العام، ويقول إنه مغرور ومتكبر، باعتبار أن هذا الأمر قد يسبب له أزمات

رأيه في المشاهد الجريئة لا يزال تهمة تطارد حميدة طوال الوقت، بعد أن دافع عن حتمية إدراجها في الأعمال السينمائية، طالما أن هذه الأفعال موجودة في الواقع، وزاد على ذلك بتأكيد أنه لا يُمانع تجسيد دور فنان مثلي

كان من أوائل الفنانين الذين دعموا ثورة 25 يناير 2011 لإسقاط نظام حسني مبارك، رغم أنه

كان من أوائل الفنانين الذين دعموا ثورة 25 يناير 2011 لإسقاط نظام حسني مبارك، رغم أنه

أحمد حافظ

